خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١٢

أفضل الأعمال إلى الله تعالى

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في صَحيحِ الإمامِ مُسلمٍ: عنْ أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عَنْه قالَ:

«منْ نَفَّسَ عَن مُؤمنٍ كُربةً منْ كُربِ الدُّنيَا، نفَّسَ اللهُ عنْهُ كُربةً منْ كُربِ يومِ القِيامةِ، ومنْ يسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ، يسَّرَ اللهُ عَليهِ في الدُّنيا والآخِرةِ، ومنْ ستَرَ مُسلِماً، ستَرهُ اللهُ في الدُّنيَا والآخرةِ، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كَانَ العبدُ في عونِ أخيهِ، ومنْ سَلكَ طَريقاً يلتمِسُ فيهِ عِلماً، سهَّلَ اللهُ لهُ بهِ طَريقاً إلى الجَنَّةِ، ومَا اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ ويتَدارسُونَه بينَهم إلاَّ نزلتْ عليهِم السَّكينةُ، وغَشِيتهُم الرَّحمةُ، وحفَّتْهُم الملائكةُ، وذَكرَهُم اللهُ فيمَنْ عندَه، ومن بَطأَ بِهِ عَملُهُ لم يُسرِعْ بهِ نَسَبُه».

في زِيارةِ الجَدَّةِ!

رنَّ جرسُ الهاتِفِ في بيتِ (أبي الخيرِ) ، فأسرعتْ (دانية) كعَادتِها ، ورفعتِ السَّماعةَ وقالتْ:

نَعَمْ ، هُنا بيتُ أبي الخيرِ ، من المُتكلِّمُ؟

وجاءَها صوتُ خَالتِها (زينب): كَيفَ حالُك يا دَانِية.. أينَ أُمّكِ يا عزِيزتي؟

فقَالت (دانية): ومَاذا جَرى يا خَالَتِي؟!..

لعلَّ أحداً قدْ أُصيبَ بأمرٍ سيِّىء ، يَبْدُو صوتُكِ غيرَ طَبِيعيٍّ.. ، أرجوكِ ماذَا جَرَى؟

قالتِ الخَالةُ: لا شيءَ يا عَزيزَتي ، ولكنَّ جدَّتكِ (أم أحمد) أُصيبتْ بِنكسةٍ صِحيَّةٍ في هَذا

الصَّباحِ ، واستَدْعَينَا الطبيبَ ، فَلمَّا فحَصَها ، قـالَ: لا بُـدَّ مِـنْ نقلِهَـا إلـى المَشْفَـى فَـورَاً ، واضطُرِرْتُ إلى إسعافِها في سَيَّارةِ جَارِنَا (أبي مُصطفى) وبعدَ ساعاتٍ أخرجُوها.. وهِي الآنَ في البيتِ.

فقالتْ (دانية): والآنَ كيفَ وضْعُها الصِّحِّيُّ يَا خالتي؟ ألاَ أستطيعُ أنْ أتحدَّثَ مَعها؟

أجابتِ الخالةُ (زينبَ): هيَ الآنَ في فترةِ راحةٍ ، ولا نُحِبُّ إزعَاجَها.. ولَكنْ للهِ الحمدُ فقدْ طَمْأَننا الطَّبيبُ قائِلاً: إنَّها مرحلةٌ مُؤقَّتةٌ تُصيبُ الكِبارَ في السِّنِّ ، وذلِك عندَ الإجهادِ والتَّعبِ ، سواءً كانَ ذلكَ تعباً فِكْرِيَّاً أو كَانَ تَعَباً جَسدِيَّاً.

وانْطلقتْ (دانيةُ) إلى حَديقةِ البَيْتِ لِتُخْبِرَ وَالِدهَا وَوالِدتَها بما حدَثَ لِجدَّتِها.

ولمَّا رَأى (أبُو الخيرِ) ابنتَهُ (دانية) تَنْطلِقُ

مُسرعةً ، قالَ لِزوجتهِ: لَعلَّ أمراً مَا قدْ حَدَثَ؟!

فقالتْ (أمُّ الخيرِ): لاَ ، إنَّها (دانية) كَثيرةُ الحَركةِ دَائماً.. وهَلْ تَعْرِفُ عنهَا أنَّها تسيرُ بِهدوءٍ؟

ودُونَ أن تُلقِيَ السَّلامَ قَالتْ بصوتٍ مُرتفعٍ:

إنَّ جدَّتي (أم أحمد) قدْ أُدخِلَتِ المَشْفَى.. وأُجْرِيتْ لهَا الفُحوصاتُ اللازمةُ.. ثُمَّ أَعادتْها خَالتي (زينبُ) إلى البيتِ.

أَفلا نذهبُ إلى زيارَتِها؟!

ومَا هِي إلاَّ لَحظاتٌ حتَّى كانَ أفرادُ العائلةِ داخلَ السَّيَّارةِ ، ثُمَّ انطَلَقُوا إلى بيتِ الجَدَّةِ.

واسْتقبلتْهُم الخالةُ (زينبُ) بِكُلِّ تِرحَابٍ وسُرورٍ ، ثُمَّ قالتْ: اطْمَئنُّوا فَالأمرُ لَيسَ إلاَّ شَيْئاً سَرِيعاً.. وزَالَ بفضلِ اللهِ وكَرمِهِ..

وانتظَرَ الجميعُ في الصَّالونِ ، وبعدَ أكثر من

نِصفِ سَاعةٍ استيقَظَتِ الجَدَّةُ منْ رُقادِها وقَالتْ: إنِّي أسمعُ أصْواتَ الأولادِ.. لَعلَّها (روضة) و(دانية)؟!

وانطلقَتْ (أمُّ الخيرِ) إلى الغُرفَةِ لِترى وَالدتَها.. واجْتَمعُوا جَميعاً حَولَها ورَاحُوا يسألُونَها عن صِحَّتِها.

ما أجملَ مُساعَدةَ النَّاسِ!

وقالتِ الجَدَّةُ: لقدْ رأيتُ الأطِبَّاءَ والمُمرِّضاتِ.. وهُمْ يُسَاعِدونَني.. ويَهتمُّونَ بِي.. فمَا أروعَ ذلكَ الموقِفِ مِنهم؟ ومَا أجملَ مُساعدَةَ النَّاسِ؟!

فقالَ (أبُو الخيرِ): إنَّهُ عملٌ رائعٌ حضَّ عَليهِ الرَّسولُ ﷺ، وذَلكَ بقولِهِ: «مَن نفَّسَ عَنْ مُؤمنٍ كُربةً منْ كُرَبِ الدُّنيا، نفَّسَ اللهُ عنهُ كُربةً من

كُربِ يومِ القِيامةِ ، ومنْ يسَّرَ عَلى مُعسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخِرةِ».

أَجَلْ!

فالجزَاءُ منْ جِنسِ العَملِ ، فَمنْ سَاعدَ أخاهُ ، فَفَرَّجَ عنهُ شِدَّةً أو ضِيقَاً أو أَمْرَاً ما ، فَرَّجَ اللهُ عنهُ مثلَ ذلَك.. في وقتٍ أشدَّ حَرجَاً ، ألاَ وَهُو يَومُ القيامَة.

حَيثُ الوقتُ العصيبُ ، والشَّمسُ تقتربُ منْ رُؤوسِ الخَلائِقِ ،... .

عِندئذٍ يجدُ المرءُ ما قدَّمتْ يداهُ ، ويرَى جَزَاءَ عَملِهِ وخاصَّةً بالتَّفريجِ عَن الآخرينَ ، ولَقدْ ورَدَ في صحيحِ مُسلمٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:

«مَاتَ رجلٌ فقِيلَ لَهُ: لِمَ غَفَر اللهُ لكَ؟

قالَ: كُنتُ أبايعُ الناسَ ، فأتجاوَزُ عنِ المُوسِرِ ، وأُخفِّفُ عن المُعْسِرِ».

ووَرَدَ في مُسندِ الإمامِ أَحمد: عَنِ ابنِ عُمرَ رَضيَ اللهُ عنهُما ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «منْ أرادَ أنْ تُستجَابَ دَعوتُه ، أو تُكشَفَ كُربَتُه فَلْيُفَرِّجْ عن مُعسِرٍ».

فَهنيئاً لأولئِكَ الأطِبَّاءِ والمُمرِّضِينَ والمُمرِّضَاتِ لِما يُقدِّمُونَهُ منْ مساعدةٍ للنَّاسِ ، وهَنيئاً لِكُلِّ منْ سَاعدَ النَّاسَ ، سواءً كَانتِ المُساعَدةُ مَاليَّةً ، أو مَعنويَّةً ، أو حَتَّى بِالكلِمَةِ.

فعندَ اللهِ الجَزَاءُ الأوفَى ، وهُو وَحْدهُ الَّذي يُعطِي ولَو كانَ العملُ قليلاً..

سترُ المُسلمِ..

وقالَ (جميلٌ):

بارَكَ بكَ يا والدِي ، فالإسلامُ يريدُ منْ أتباعِهِ بناءَ علاقاتٍ اجْتِماعيةٍ مَتينَةٍ ، فَيجبُ

عليهِم أنْ يُساعدَ بعضُهُم بعضاً ، وأنْ يَتعاوَنُوا عَلى البِرِّ والتَّقوى ، وأنْ يكُونُوا يَداً واحدةً ، وأنْ يَتجَاوزُوا عَنْ أخطاءِ بعضِهم ، وأنْ يتَسامَحُوا فِيما بينَهُم ، لِيفُوزُوا في الدَّارينِ ، مِصداقُ ذلكَ ما جاءَ في تَكمِلَةِ الحَديثِ الشَّريفِ:

«ومنْ ستَرَ مُسلِماً ، ستَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ ، واللهُ في عَونِ العَبدِ مَا كانَ العبدُ في عونِ أخِيهِ».

وجاءَ في حديثِ رَسولِ الله ﷺ: «أفْضَلُ الأعمالِ: إدخَالُ السُّرورِ على المُؤمِنِ ، كَسَتْرَتَ عَورتَه ، أوَ أشْبَعْتَ جَوعتَهُ ، أو قَضَيتَ لَهُ حَاجَتَه».

ووَرَدَ في كُتبِ التَّاريخِ والتَّراجِمِ أنَّ الإمامَ الحَسنَ البَصرِيَّ رَحمهُ اللهُ تعالَى ، أرسلَ قَوماً من أصحابِهِ في قَضَاءِ حاجةٍ لرجلٍ ، وقَالَ لهمْ:

مُرُّوا بثابتٍ البُنَانِي ، فخُذوهُ معَكُم ، فأَتَوا ثَابتاً ، فقَالَ: إنِّي مُعْتَكِفٌ.

فَرَجعُوا إلى الحَسَنِ ، فأخْبرُوْهُ ، فقَالَ: قُولُوا لهُ: يَا أعمَشُ! أمَا تعلَمُ أنَّ مشيَكَ في حاجةِ أخيكَ المُسلمِ خيرٌ لكَ مِنْ حجَّةٍ بَعدَ حَجَّةٍ؟

فَرَجعُوا إلى ثَابتٍ ، فتَركَ اعتِكافَهُ وذهبَ مَعهُم...

العِلمُ.. هو الطَّريقُ المُوصِلُ إلَى الجَنَّةِ

وقالتْ (روضة): وتَكملةُ الحَديثِ الشَّريفِ هُو قولُه صلواتُ اللهِ عَليهِ: «ومَنْ سَلكَ طَريقاً يَلتمسُ فِيه علماً ، سهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَريقاً إلى الجَنَّةِ ، ومَا اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلُونَ كتابَ اللهِ ويتَدارَسُونَه بينَهم إلاَّ نزلتْ عَليهِم السَّكينةُ ، وغَشيتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم

الملائكةُ ، وذَكرهُم اللهُ فيمنْ عِندَه».

فالرَّسولُ ﷺ يُؤكِّدُ عَلى حُضُورِ مَجالِسِ العِلمِ ، وعَلى مُتابعةِ كُلِّ علمٍ مُفيدٍ ، سَواءً كَانَ العِلمُ من العُلُومِ الشَّرعيَّةِ ، أو العُلومِ الكَونِيَّةِ ، أو العُلُومِ الحديثَةِ ، والمُهمُّ أنْ يكونَ العلمُ فيهِ خِدْمةٌ للنَّاسِ.

وذَلكَ من زَاويةِ أنَّ «الخَلْقَ كُلُّهم عِيالُ اللهِ ، وأحبُّهم إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعيالِهِ».

ومِن ثَمَّ يُبيِّنُ المُصطَفى ﷺ ثَوابَ التَّعلُّمِ والتَّعليمِ ، ويُؤكِّدُ الأَمرَ مِرَاراً وتِكْرَاراً ، وذَلك بِهدفِ تشجيعِ الأجيالِ.. وخَاصَّةً الشَّبابُ عَلَى مُتابعةِ العُلومِ كُلِّها ، مثالُ ذَلكَ قولهُ صلواتُ اللهِ عَليه:

«إنَّ مثلَ العُلماءِ في الأرضِ كَمثلِ النُّجومِ في السَّماءِ ، يُهتَدَى بِها في ظُلماتِ البَرِّ والبَحرِ ،

فإذا انْطَمسَتِ النُّجومُ ، أَوشَكَ أنْ تَضِلَّ الهُدَاةُ ، ومَا دَامَ العِلمُ باقياً في الأرضِ فالنَّاسُ في هُدًى».

وقَالَ الشَّابُّ (صُهيب):

والمُهمُّ أنْ يكونَ معَ العِلمِ الإخلاصُ للهِ تَعالَى ، وعَدمُ التَّكبُّرِ عَلى الآخَرينَ ، وقَدْ قَرأتُ مرَّةً قَولاً لِلحَسنِ رَحمَهُ اللهُ تَعالَى:

العِلمُ عِلْمانِ: عِلمٌ عَلى اللِّسانِ ، فذَاكَ حُجَّةُ اللهِ على ابْنِ آدَمَ ، كَما في الحَديثِ: «القُرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عَليكَ» ، وعِلمٌ فِي القَلبِ فَذَاكَ العِلمُ النَّافِعُ.

مَعَ القُرآنِ.. والذِّكْرِ

وقالتْ (أُمُّ الخيرِ):

ويُؤكِّدُ الرَّسُولُ ﷺ عَلى فَضَائِلِ الاجتِماعِ

عَلَى قِراءةِ القُرآنِ ، وذِكرِ اللهِ تَعالى ، وخَاصَّةً في بيتٍ من بُيوتَاتِ اللهِ.

ويُبَيِّنُ النَّتَائِجَ العَظِيمَةَ الَّتِي يَنالُها أُولِئكَ المُهتَمُّونَ بالقُرآنِ والذِّكْرِ ، ولقدْ وَرَدَ في صَحيحِ مُسلمٍ:

«أنَّ رسولَ اللهِ خرجَ علَى حَلقةٍ من أصْحابِهِ فَقَالَ: مَا أجْلَسَكُم؟

قالُوا: جَلسْنا نَذكُرُ اللهَ ونحمدُه لِمَا هَدَانا لِلإسْلامِ ومنَّ عَلينا بِهِ.

فقَالَ: آللهُ ما أجلَسكُم إلاَّ ذَلكَ؟

قالُوا: آللهُ مَا أجْلسنَا إلاَّ ذلكَ.

فقالَ: أتَاني جِبْريلُ ، فأخْبرَني أنَّ اللهَ يُبَاهي بِكُمُ المَلائِكةَ»..

وصَدقَ اللهُ تَعالى عِندمَا قالَ: ﴿

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ

بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

[الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

«فَإِنِّي لا أُغنِي عَنْكُم منَ اللهِ شَيئاً»

وخَتمتِ الجَلسةَ الشَّابَّةُ (روضة) بِقولِ الرَّسولِ ﷺ ويَأتي آخرُ هَذا الهَدْيِ النَّبَوِيِّ، لِيُرَكِّزَ على أنَّ مَسْألةَ النَّسَبِ في الإسْلامِ لا تتوقّفُ عند القَرابةِ ...

إنَّما تتوقَّفُ عندَ قرابةِ الإيمانِ والتَّقوى:

«ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَملُه لمْ يُسرِعْ بِهِ نَسبُهُ».

وقدْ يكونُ إنسانٌ يَنْحَدِرُ من أَمْرِيكا أو بِلادِ فَارِسٍ أو مِنْ إفْرِيقيَّة أَفضَلَ عندَ اللهِ منْ إنسانٍ ينحَدرُ من قُريش؛ إذَا كانَ الأوَّلُ أكثَرَ تُقًى.

والمِثَالُ الإسلامِيُّ الحَيُّ: نَجِدُهُ في أبِي لهبٍ،

وهُو عمُّ رَسولِ اللهِ ﷺ ماتَ عَلى الضَّلالَةِ ، وأُنزِلتْ فيهِ سورةُ المَسدِ ، بَينمَا سلمانُ الفَارِسِيُّ قالَ عنْهُ رَسولُ اللهِ:

«سَلمانُ مِنْ أهْلِ البيتِ».

كانتْ مودَّةُ (سَلْمانَ) لهُمْ نَسباً

ولَمْ تَكُنْ بينَ (نوحٍ) وابنِهِ نسبُ!

وقدْ ورَدَ في مُسندِ أَحْمَدَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَوْلىَ النَّاسِ بِي المُتَّقُونَ ، مَنْ كانُوا ، وحيثُ كَانُوا»..

وقَدَّمتِ الخَالةُ (زينب) قَليلاً من الحَلويَّاتِ والفَواكِهِ.. وقَرَأ الجَميعُ سورةَ الفَاتِحةِ عَلى نِيَّةِ شِفاءِ الجَدَّةِ..

وآخرُ دَعوانَا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ